المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف- ميلة
قسم اللغة والأدب العربي

السنة الثالثة تخصص: لسانيات تطبيقية
مادة علم النفس اللغوي

أستاذ المادة: د/ ع.ح. معزوز

المحاضرة الأولى: مفاهيم أولية

توطئة: يعد اللسان من أهم الملكات الإنسانية التي تميّزه عن باقي الكائنات، وهو في تعريفه "نظام من العلامات التي تعبر عن الأفكار، وبهذا فإنه يمكن مقارنته بالكتابة، وألفبائية الصم البكم، وأشكال التحية، والعلامات العسكرية ، إلخ. ولكنه أهم تلك الأنظمة".

وارتباط السان بالفكر هو ما جعل أمر فهمه معقدا، واستوجب تظافر علوم إنسانية أخرى غير اللسانيات – التي هي مجال دراسة اللسان– كعلم الاجتماع، وعلم النفس... وغيرها، فنتج عن ذلك الالتحام بين تلك العلوم علوما أخرى تجمع بين تلك التخصصات، ومنها علم النفس اللغوي، أو اللسانيات النفسية.

1 تحديد المصطلحات: تعد المصطلحات مفاتيح العلوم، ولا يكون الولوج إلى أي مجال معرفي إلا قبل التعرف على المصطلحات التي يستعملها، والوقوف على المفاهيم التي تحملها تلك المصطلحات في ذلك المجال المعرفي بالذات؛ فقد تشترك عدة علوم في البنية اللفظية لمصطلحاتها، لكن ما يحدد خصوصية تلك المصطلحات هي الشحنة الدلالية التي تحملها في كل علم، والتي تجعلها مختلفة عن مصطلحات علم آخر.

وعلى هذا، فإنه لا بد من تحديد مفاهيم بعض المصطلحات الأولية في علم النفس اللغوي، ومن ذلك تفكيك المصطلح ومحاولة الربط بينها فيما بعد. فعلم النفس اللغوي يجمع بين علمين هما علم النفس واللسانيات، كما يستعين بعلوم أخرى، لكن ما يهمنا في هذا السياق هما العلمان المذكوران.

1–1 علم النفس:

باختصار **علم النفس** هو الدراسات العلمية للسلوك والعقل والتفكير والشخصية، ويمكن تعريفه بأنه: "الدراسة العلمية لسلوك الكائنات الحية، وخصوصا الإنسان، وذلك بهدف التوصل إلى فهم هذا السلوك وتفسيره والتنبؤ به والتحكم فيه".

1–2 اللسانيات:

يحدد دو سوسير **Ferdinand DE SAUSSURE** موضوع اللسانيات الصحيح والوحيد بدقة، وهو دراسة اللسان لذاته ومن أجل ذاته ، وهي العبارة التي يختم بها دو سوسير –أو لنقل تلامذة سوسير– محاضراته، والتي

نصها: « ***la linguistique a pour*** **unique et véritable objet la langue envisagée en elle-même et pour elle-même** ».

أما **أندري مارتيني André Martinet** فيحدد اللسانيات على أنها: "الدراسة العلمية للسان البشري. إن دراسة ما تكون علمية حينما تتأسس على ملاحظة الوقائع، وتمتنع عن أن تفترض اختيارا ضمن هذه الوقائع باسم بعض المبادئ الجمالية أو الذهنية".

كما نصادف **جون دوبوا Jean Dubois** في معجم اللسانيات وعلوم اللغة، قد أورد تحديدا لمصطلح (لسانيات) بقوله: "نتفق بصفة عامة على اعتبار اللسانيات دراسة علمية للغة بظهور مؤلف فيردنان دو سوسير "محاضرات في اللسانيات العامة" سنة 1916".

وورد في (**المعجم الموحد للسانيات**): "لسانيات Linguistics.Linguistique: دراسة علمية للغة يقر كل باحث، بشكل عام، بأنها ظهرت مع نشر كتاب دو سوسير "دروس في اللسانيات العامة" سنة 1916م، وتتوق هذه الدراسة العلمية إلى النظر في اللغة لذاتها دون اعتبارات خارجية عنها، وذلك باستعمال طرق تجريبية ذات بعد وصفي أفضى إلى ظهور مدارس تابعة أو مخالفة".

ومن اللسانيين العرب ممن حددوا موضوع اللسانيات، نجد خولة طالب الإبراهيمي، حيث تعتبر اللسانيات "هي الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري، أي دراسة تلك الظاهرة العامة والمشتركة بين بني البشر والجديرة بالاهتمام والدراسة بغض النظر عن كل الاعتبارات الأخرى التي لا تُعدّ من صلب اهتمام اللسانيين".

ويبرز في هذا الصدد أيضا رأي محمود فهمي حجازي الذي يعدّ اللسانيات بأنها "دراسة اللغة على نحو علمي، ويعني هذا التعريف أن الدراسات اللغوية موضوعية وليست انطباعية ذاتية. وقد أدت هذه الموضوعية المنشودة إلى استقرار كثير من الحقائق وتكوّن كثير من المناهج وخلق مناخ علمي يتيح لدى اللغويين، في كل أنحاء العالم، المتخصصين في مختلف اللغات درجة عالية في التعاون وتبادل الخبرة".

1-3 علم النفس اللغوي:

يتحدد هذا العلم من خلال الترابط الموجود بين علم اللسان وعلم النفس، وذلك من خلال اعتبار اللسان سلوكا إنسانيا معبرا عن حالات نفسية معينة، وأن ذلك السلوك الإنساني يعد موضوعا لعلم النفس، ومنه يعد هذا السلوك اللغوي للإنسان حلقة الاتصال بين هذين العلمين.

"وقد اهتمت المدرسة السلوكية اهتماما بالغا بالسلوك اللغوي، وكان لها أثر واضح في البحث اللغوي الأمريكي في النصف الأول من القرن العشرين، ولكن البحث في قضايا اللغة من وجهة نظر اللغويين يختلف كثيرا عن وجهة نظر علماء النفس، فالفرق بيّن وشاسع بين كل منهم".

وعلى يمكن تعريف علم النفس اللغوي كالآتي:

- "علم اللغة النفسي علم حديث، لم يتبلور إلا في أوائل الستينات من القرن الماضي، وإن ظهرت الإرهاصات قبل ذلك، وهو علم هجين يتكون من علمين معا هما علم اللغة وعلم النفس".
- "فرع من فروع علم اللغة، لكنه يقع في الجانب التطبيقي منه، أي يقع في مجال عالم اللغة التطبيقي أو اللغويات التطبيقية Applied linguistics، بالنظر إلى أن معظم موضوعاته المعاصرة تقع في هذا الجانب، على الرغم من أن معظم هذه الموضوعات نشأت نشأة فلسفية، وبخاصة عند نوم تشومسكي وأتباعه من اللغويين المعرفيين الذين لم يهتموا بالجوانب اللغوية التعليمية".

ومن هذه التعريفات، ومن خلال الجمع بين العلمين يتبيّن أن مجال دراسة علم النفس اللغوي هو "كيفية تحويل المتحدث للاستجابة إلى رموز لغوية to encode وهذه عملية عقلية، ينتج عنها إصدار الجهاز الصوتي للغة. وعندما تصل اللغة إلى المخاطب أو المتلقي، ويوم بترجمة وتحويل هذه الرموز اللغوية في ذهنه إلى المعنى المراد to decode، تتم عملية عقلية أخرى".

أي أن هذا العلم يعتم أساسا بدراسة الترابط القائم بين العوامل اللسانية والجوانب النفسية للإنسان، فيبحث في العوامل العصبية التي تمكن الإنسان من اكتساب ملكة اللغة واستخدامها وفهمها ونطقها.

2 بين علم النفس اللغوي وعلم اللغة النفسي:

يصادف الباحث في هذا العلم مصطلحان : أحدهما علم اللغة النفسي والآخر علم النفس اللغوي؛ فيتبادر إلى ذهنه السؤال: هل ثمة فرق بين المصطلحين أم أنهما مصطلحان لمسمى واحد وأن الامر لا يعدو أن يكون تعدد المصطلح لنفس المفهوم؟

فيرى كثير من الباحثين أن "المصطلحين مترادفان وأنهما اسمان لعلم واحد عرف أول الأمر بعلم النفس اللغوي ثم تطور فأضيف اليه مصطلح آخر وهو علم اللغة النفسي كغيره من العلوم النفسية المرتبطة بالعلوم الأخرى كالتربية والصحة النفسية ، وعلم الاجتماع, وعلم اللغة وما شابهها من العلوم التي تفرع منها علوم مركبة من جزئيين كعلم النفس التربوي وعلم النفس العيادي وعلم النفس الاجتماعي بالإضافة لعلم النفس اللغوي".

لكن من يتتبع مختلف آراء الباحثين في هذا العلم، يجد منهم من يفرق بين المصطلحين، ويرى أن بينهما فروقا من الناحيتين التاريخية والوظيفية كما يأتي:

"فمن الناحية التاريخية يلاحظ أن مصطلح علم النفس اللغوي أسبق فالظهور من علم اللغة النفسي فقد ظهر الأول في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وظهر الثاني في بداية النصف الثاني من القرن العشرين.

ومن الناحية الوظيفية يعد علم النفس اللغوي فرعا من فروع علم النفس ويعد الثاني فرعا من فروع علم اللغة ولكل واحد منهما وظائفه ومجالاته: فعلم النفس اللغوي أو سيكولوجية اللغة كما يسميه علماء النفس فرع من فروع علم النفس يهتم بعلم نفس اللغة فيدرس اللغة بوصفها مكونا من المكونات النفسية وظاهرة من ظواهر النفس البشرية ويتناولها أداة لشرح المفاهيم النفسية كالذكاء والذاكرة والانتباه والخوف وعيوب النطق والتعلم وتحديد وظائفها في السلوك كما يهتم بالحديث المفصل عن المذاهب النفسية المختلفة في تعليم الأطفال. أما علم اللغة النفسي فهو فرع من فروع علم اللغة يهتم أصحابه بالتفسير اللغوي للعمليات العقلية ذات العلاقة بفهم اللغة واستعمالها واكتسابها كما يهتمون بالبحث في أثر القيود النفسية على فهم اللغة واستعمالها وبخاصة ما يتعلق فالذاكرة".

مع ذلك، فإن استعمال علم اللغة النفسي أو علم النفس اللغوي يدل على تلك الصلة التي تربط بين علم اللغة وعلم النفس، وأن سبب اختلاف استعمال المصطلحين عند الباحثين العرب يعود أساسا إلى اختلاف تخصصهم؛ فعندما يكتب علماء النفس والتربية العرب في هذا المجال فإنهم يستعملون مصطلح (علم النفس اللغوي)، أما إذا ألّف اللغويون في هذا المجال فإنهم يوظفون مصطلح (علم اللغة النفسي)، ولكنهم جميعا يبحثون في قضية واحدة هي ربط الجانب النفسي بالجانب اللغوي عند الإنسان.

خاتمة:

كان ما سبق محاولة لتحديد المداخل المفهومية لمجال معرفي حديث الظهور في حقل الدراسات اللسانية التطبيقية، وتقديم نظرة أولية للمصطلحات المفاتيح فيه من أجل بناء معارف أولية تساعد في الخوض في مختلف القضايا التي يعالجها هذا العلم.